

الجنوسة الثقافية وأثرها على العملية الإبداعية.. ما بين الدواعي الفطرية والإقحامات القسرية.

The culture based on gender and its impact on the innovative operation..between the innate causes and the forcible intercalation.

د.مليكَة صياد

جامعة زيان عاشور (الجلفة)، malikasiad2015@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/30

تاريخ القبول: 2022/02/15

تاريخ الإرسال: 2021/12/09

الملخص:

رغم أن فكرة التمييز بين الذكر والأنثى/الرجل والمرأة قديمة قدم وجود الإنسان على هذه الأرض؛ إلا أن مسألة الجندر(الجنوسة) لم تظهر إلا مؤخرا وتحديدا العام 1975م وهو تاريخ إعلان العام الدولي للمرأة؛ ذلك أن التمييز بين الجنسين أضحت له أبعادا عدة: سياسية، واجتماعية، وثقافية... إلخ، كما أن المسألة قد عرفت طريقها نحو الهيئات الرسمية، ما كرسها أكثر، ودفع بعدديد الأقلام إلى تناولها، كل من زاوية نظره، ونوع تخصصه، ولأن الجنوسة تمس الإنسان بالدرجة الأولى بعدّه منتج الفكر، ومبدع الأدب، قررنا أن نبحث في جزئية الجنوسة الثقافية وأثرها على العملية الإبداعية مدفوعين برغبة ملحة للإجابة عن الإشكالية التالية: هل لنوع الجنس البشري تأثير على العملية الإبداعية؟ أم أنها مجرد فروق اصطنتعتها البيئة الثقافية؟ وهل هناك فروقا جوهرية بين الكتابة النسوية والكتابة الذكورية؟ هاته الأسئلة وأخرى تروم المداخلة إضاءتها قدر الإمكان .

الكلمات المفتاح : جنس - جنوسة - عملية إبداعية، دواعي فطرية - إقحامات قسرية.

Abstract : Although the idea of distinguishing between male and female/ male and female is as old as the presence of man on this earth, the issue of gender did not arise until recently and specifically in 1975, when the Declaration of the International Year of Women, because gender discrimination has several dimensions: political, social and cultural ... And because gender affects human beings primarily as a producer of thought and the creator of literature, we decided to look at the cultural gender and its impact on the creative process. Driven by an urgent desire to answer the following problem: Does the human race have an impact on the creative process? Or are they just differences made by the cultural environment? Are there fundamental differences between feminist and male

writing? These are the questions and the other ones the intervention is intended to light as much as possible.

Keywords: gender-sex- innovative operation- innate causes-forcible intercalation.

مقدمة:

شاعت ولما تزل ظاهرة تعدد المصطلحات لمفهوم واحد، وتعدد المفهومات لمصطلح واحد في الدول الغربية، وكذا في الدول العربية، لكن عندما يتعلق الأمر بمصطلح الجندر أو الجنوسة نلفي المسألة تتخذ أبعادا أخرى، وتزج بالقارئ في متاهات عميقة .

فإذا كانت إشكالية المصطلح تلوح بظلال بسيطة على البيئة الغربية بحيث لا ينجر عنها تعميم الرؤية، أو استحالتها، وتلوح بظلال أكبر على البيئة العربية بشكل تصعب معه الرؤية، إلا أن المصطلح بصفة عامة، ومع كل الإشكاليات التي يطرحها كانت دراساته تأتي منطقية، وأسباب المشكل تبدو أكثر مقبولة، بيد أننا نجد أنفسنا أمام أمور مختلفة تماما ونحن بصدد مطالعة بعض ما قيل فيما يخص موضوع الجنوسة .

1- الجنوسة: الانبثاق الأولي:

قلما يظهر الباحثون الغربيون بهذا الحجم من الاختلاف، وعدم توحد الرؤى، وصعوبة الاتفاق؛ إذ إن الاختلاف برز بشكل واضح عندما تعلق الأمر ببحث موضوع الجندر أو الجنوسة؛ حيث تم الربط بين ظهور مصطلح الجندر بحمولته الاجتماعية والناقدة آن أوكلي Ann Oakley: «استخدم لفظ الجندر Gender من قبل آن أوكلي وغيرها من المهتمات/ين في السبعينات، لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعيا مقابل الخصائص المحددة بيولوجيا، وقد رأت Ann Oakley أن الشعوب والثقافات تختلف بشكل كبير في تحديدها لسمات الذكورة والأنوثة، وبالتالي فإن الفصل بين مفهومي الجنس والجندر يختلف من ثقافة إلى أخرى.»¹ و إليها عزى الباحثون تعبئة مصطلح الجندر بهذا المفهوم وتوكيد صلته بالمجتمع والثقافة، وجعله ناتج من نتاجهما: «نححت آن أوكلي Ann Oakley في إدخال مصطلح "Gender أو الجنوسة للمرة الأولى في

حقل الدراسات الاجتماعية في دراستها الشهيرة المعنونة بـ "Sex, Gender And Society" وهي الدراسة التي نشرت في لندن عام 1972.² في حين نجد أن هذا المصطلح وبهذا المفهوم قد ظهر قبل السبعينات يعني قبل آن أوكلي وتحديدًا عام 1955م في كتاب *The Nature of Gender* وهو ما تؤكدته المقولة التالية: «مصطلح جندر Gender الذي قدمه العالم الجنساني جون موني John Money عام 1955، أحدث تغييرًا جذريًا في التمييز بين الجنس كمفهوم بيولوجي والجندر بوصفه دورًا اجتماعيًا.»³ بل هناك من يذهب إلى رأي آخر، ويرى أن ميلاد المصطلح بهذا المفهوم كان على يد أليكس كومفورت Alex Comfort وتحديدًا عام 1963م: «لا أحد يعرف بالضبط متى وأين استعمل مصطلح Gender أساسًا للإشارة إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية للاختلاف الجنسي، لكن من الواضح أن المصطلح كان دارجًا قبلئذ في علم الجنس في أوائل الستينات، على سبيل المثال، لا يظهر مصطلح Gender في عرض أليكس كومفورت Alex Comfort بعد الحرب لكتاب "السلوك الجنسي في المجتمع" (1950) "Sexual Behaviour in Society" إلى أن تم تنقيح الكتاب لأجل النشر بعد ذلك بثلاثة عشر عامًا (تحت العنوان الجديد، "الجنس في المجتمع" Sex in Society، عندما أضاف المؤلف مناقشة مختصرة للأدوار الجنوسية.»⁴ فإذا كان الكتاب قد أُلّف عام 1950 ونشر بعد ثلاثة عشر عامًا وهو يحمل مصطلح الجندر بهذا المفهوم، فهذا يعني أن تاريخ الميلاد الحقيقي لهذا الأخير هو العام 1963م، فمن الخمسينيات إلى الستينات إلى السبعينات اختلفت الآراء، كما لم يتم بالضبط تحديد الباحث الأول الذي استعمله بهذا المفهوم؛ لكن رغم هذا الاختلاف الواضح إلا أن المصطلح قد شهد انتشارًا واسعًا.

2- الجنوسة: بين اختلاف المصطلح وتناقض المفهوم :

لم يتوقف عدم الاتفاق على الاستعمال الأول للمصطلح بهذا المعنى، وعلى يد من، بل نشر الاختلاف رداءه حتى على المفهوم في حد ذاته؛ إذ اختلف اختلافًا وصل حد التناقض، فهناك من قال بأنه يدل على الجنس البيولوجي، ومن قال أنه يدل على النوع، ومن قال أنه يدل على التمييز بين الذكر والأنثى، ومن قال أنه يدل على عدم التمييز بينهما، ومن قال أنه مرادف للمرأة ومن قال أنه مرادف للنسوية... إلخ من المقولات، وهذا التباين يجده الباحث جليًا في الدراسات التي تناولت الموضوع، ويمكن الوقوف على جانب من هذه الظاهرة من خلال استعراض بعض المفهومات التي توضح ذلك .

إن مصطلح الجندر في لغته الأصلية كان يحيل بصورة مباشرة إلى الجنس؛ وهو ما تؤكدُه العبارة التالية: « لفظ الجندر Gender كلمة تنحدر من أصل لاتيني وتعني في الإطار اللغوي القاموسي (الجنس) من حيث الذكورة والأنوثة. »⁵ نفس الكلمة عند البعض تدل على المرأة: « كلمة جندر في الأصل هي مرادف للمرأة وتنطوي على علاقة المرأة بالآخر، وكانت كلمة جندر في البدء تقول إن عالم المرأة من عالم الرجل وليس مميّزا عنه. »⁶ وهناك من أطلق لفظ الجندر على الحركة النسوية، ومن ثم راح يعرفه انطلاقاً من مفهوم النسوية: « الجنوسة Gender أو النسوية Feminism مفهوم تمحورت حوله الدراسات النسائية في كافة المجالات: السياسية والاقتصادية والبيولوجية الطبية والنفسية والعلوم الطبيعية والقانونية والدينية والتعليمية والأدبية والفنية وفضاءات العمل والتوظيف والاتصال والإعلام والتراجم والسير الذاتية. »⁷ وهناك من حاول أن يبحث في المراحل المفهومية-إن صح التعبير- التي قطعها المصطلح حتى وصل للدلالة التي هو عليها الآن: « والحق أن المفهوم في الأصل نحوي ألسني يعني التمييز في الاسم بين المذكر Masculin والمؤنث Féminin وهو مشتق من المفردة اللاتينية التي تعني النوع أو الأصل "Genus" ثم تحدر سلالياً عبر اللغة الفرنسية في مفردة Gender التي تعني أيضاً النوع أو الجنس. »⁸ لكن رغم تعدد المفهومات، واختلاف مجالاتها، وواضعيها، وتباين أزمتهما، لم يُدحض مفهوم على حساب آخر، بل بقيت كل المفهومات حاضرة بنسبة ما .

وراقت المفهومات تتعدد، وتتشابك، وتتعلق، ما أحدث ضبابية، غطت على الرؤية، كما صحبت هذه الفوضى المفهومية، فوضى مصطلحاتية، فبات هناك كل من الجندر، والجنوسة، والجنسانية، والاستجناس، والنسوية، والمرأة، والنوع الاجتماعي... إلخ: « يترجم مصطلح (Gender) إلى العربية بالجندر، أو النوع الاجتماعي، أو الجنوسة، أو الجنس، بل إن بعض المصادر تترجمه: جنسانية. »⁹ فتعدد المصطلح ساهم هو الآخر في بلورة الإشكاليات التي تطرحها الجنوسة، وإن حاول البعض إيجاد مبرر لهذا التعدد في الدراسات العربية بالذات، من خلال بحث الأسباب التي دفعت إليه، إلا أن الإشكال ظل قائماً: « وإذا تأملنا بعض الترجمات التي ابتدعتها الباحثات العربيات لمفهوم ال gender مثل "النوع" و"النوع الاجتماعي"، و"الجنوسة"، و"الجندر"، و"الاستجناس"، نجد أن جميع الاختيارات لها أسبابها ونتائجها، فنجد أن "نوع" تحاكي ظهور مفهوم ال gender في بداياته، ففي الستينيات كان gender مفهوماً في النحو، ولم يكن له أي دلالات نسوية كما هو الحال الآن، استخدمته النسويات في السبعينيات لخلق معانٍ جديدة للتأكيد على فكرة أن التمييز بين الرجل والمرأة لا علاقة له بالطبيعة، أي إنه ليس مسألة بيولوجية، وإنما مسألة اجتماعية وثقافية، وبالتدرج اكتسب مفهوم ال gender معانٍ ودلالات مستحدثة. »¹⁰ إذن فمع ظهور الحركة النسوية في الغرب، والتأثير الذي نجم عنها في الوطن العربي،

كثر استعمال مصطلح الجندر بمولته الاجتماعية، ومع ذلك ظل مشكل المصطلح والمفهوم مطروحا حتى بعد دخول هذا الأخير رحاب الهيئات الدولية الرسمية؛ إذ «عقد في بكين المؤتمر المعروف بمؤتمر المرأة، والذي كان شعاره كما ورد في وثيقته، "إعادة صياغة المجتمع عن طريق رؤية العالم من خلال عيون النساء"، وفي وثيقة هذا المؤتمر وردت كلمة (جندر) حوالي 233 مرة، ولوحظ أنها تأتي لتعبر عن أكثر من معنى فهي تارة تشير إلى (الجنسين) وتارة تشير إلى (المرأة)، وتارة للتعبير عن الأدوار المنوطة بالجنسين». ¹¹ إذن لقد استمد مصطلح الجندر أهميته المثيرة للانتباه كونه استغل من طرف المناضلات في الحركة النسوية في موجتها الثانية التي صادفت ازدهار وتألّق نجمها، ومن هنا انمالت عليه الدراسات، وكانت كلها تسعى للبحث في سبل إلغاء المفاضلة والفروق التي وضعها المجتمع بين الرجل والمرأة .

لقد أحيط مصطلح الجندر أو الجنوسة بحالة من الاهتمام لأن النسويين والنسويات قد رأوا فيه طوق النجاة، والآلية التي يمكن من خلالها إعادة التوازن في الامتيازات الاجتماعية والثقافية بين الجنسين، منطلقين من قاعدة - صارت مثل البديهية بالنسبة لهم لا تحتاج إلى برهان- مفادها أن المجتمع بالثقافة المهيمنة عليه هو السبب الرئيس في كل ما حيق بالمرأة من ظلم وتهميش، وكل ما حظي به الرجل من تفضيل وتمركز .

3- الفرق بين الجنس والجنوسة:

وسعيا لبلوغ هذه الغاية والمتمثلة في تحميل المجتمع كامل المسؤولية تجاه المزايا التي منحها للرجل، وتجاه كل أنواع الحرمان التي كانت من نصيب المرأة، أخذ الباحثون والباحثات في إيجاد ما من شأنه تدعيم هذه الفكرة، منطلقين في ذلك من ضرورة التفريق بين الاختلاف البيولوجي الذي وضعته الطبيعة التي لا دخل لأحد فيها، وبين الاختلاف الاجتماعي والثقافي الذي يعزى فيه كل الدخل لليد الرجولية: «إن "الجنس" أمر و"النوع الاجتماعي" أمر آخر مختلف تماما، فمن المعروف أن الشخص يولد ذكرا أو أنثى، وأن جنسنا يمكن أن يُحدد ببساطة بالنظر إلى الأعضاء التناسلية، ولكن لكل ثقافة طرقها في وضع قيمها الخاصة بالبنات والأولاد، ومن ثم تحدد لكل منهما أدوارا، واستجابات، ومزايا، مختلفة، فالقالب الثقافي والاجتماعي الذي يصمم للبنات والأولاد منذ النشأة الأولى هو ما يعرف بتحديد النوع الاجتماعي(الجندرة)، فكل مجتمع يحول تدريجيا الأنثى أو الذكر إلى امرأة أو رجل، ومن ثم إلى فهم للأنوثة أو الذكورة، وذلك عبر مستويات مختلفة من أنماط السلوك، والأدوار والمسؤوليات، والحقوق، والتوقعات، ويتم هذا على خلاف الجنس الذي هو أمر بيولوجي، فهوية النوع الاجتماعي(الجندر) للنساء والرجال يتم تحديدها نفسيا واجتماعيا، بما يعني أن النوع الاجتماعي(الجندر) يحدد تاريخيا وثقافيا.» ¹² لقد

اقتنع رواد هذا الاتجاه بهذه الفكرة، وتشربوها حتى الشمالة، لدرجة أن المجتمع قد بات في نظرهم مجتمعا متوحشا، أنانيا، ظلما، ولا يطاق: «لقد صورت كلاوديا فان ويرلوف Claudia Werlhof النظام الاجتماعي القائم على تحديد علاقات النوع الاجتماعي (الجندر) أنه: "لا يوجد نظام اجتماعي في التاريخ تهادى وشوه الاختلاف الطبيعي بين الجنسين واستغله بشكل وحشي ومنظم كما فعل نظامنا الاجتماعي، فقد حول الجنس بوصفه تكويننا طبيعيا إلى نوع اجتماعي "جندر" مصطنعا، حيث جعل الرجال من "الذكورة" والنساء من "الأنوثة".»¹³ لقد كان لتزامن هذه الطروحات الفكرية مع ارتفاع الأصوات المناهضة للهيمنة الذكورية، والمنادية بضرورة عتق المرأة من رقة سيطرة الرجل، ومنحها حقوقا توازي حقوقه، الأثر الإيجابي في جعل مفهوم الجندر ذو الحمولة الاجتماعية والثقافية يلقى تأييد العديد من الجهات المنضوية تحت لواء النسوية التي طفقت كلها تسعى للتغيير في موضوع الجندر أو الجنوسة .

ومن بين الزوايا التي تم التركيز عليها في محاولات الباحثين تكريس وجهة نظرهم الآنف الذكر، زاوية الفرق بين الجنس والجنوسة؛ حيث إن الجنس: «جملة الخصائص التشكّلية والفيزيولوجية العضوية التي تؤمن التكاثر الذي يتلخص جوهره بالإلقاح في نهاية المطاف.»¹⁴ بينما نحت الجنوسة منحى آخر، حيث: «الجنوسة ليست بنية طبيعية وليست حتمية بيولوجية، وإنما تركيبة اجتماعية ثقافية لا علاقة لها بالتكوين الجنسي البشري.»¹⁵ واتكاء إلى هذا المرتكز راح الباحثون يتدارسون الفروق بين الجنس والجنوسة، ومنها أخذوا في كيل الاتهامات للمجتمع الجائر، والظالم، والحاقد على المرأة لكونه السبب الأول والأخير فيما لحقها من طمس للحقوق وتهميش للدور، ودونية للمكانة، وفي الوقت الذي استدلوا فيه على صحة ما ذهبوا إليه، وأن المجتمع هو المسؤول إذ: «إن الأوضاع المختلفة التي يتمتع بها النساء والرجال في المجتمع يتم تحديدها اجتماعيا وثقافيا، وهي من صنع الإنسان، وتأثير الطبيعة في ذلك محدود، فالنوع الاجتماعي (الجندر) على خلاف الجنس هو الذي يحدد وفي كل مكان تقريبا أن النساء بوصفهن مجموعة، يعتبرن أدنى مكانة من الرجال، فالنساء يتمتعن بحقوق أقل، ويمتلكن مصادر أقل، ويعملن لساعات طويلة بالنسبة للرجال إلا أن عملهن أقل تقييما أو أقل أجرا، إضافة لذلك، فالنساء يواجهن عنفا منظما سواء من الرجال أو عبر المجتمع.»¹⁶ لم ينتبهوا إلى جملة من النقاط كانت هي الدافع الحقيقي لميلاد هذه الورقة البحثية، بالإضافة إلى أنها تنطوي على الأسباب الكامنة وراء بقاء مثل هذه التنظيرات حبرا على ورق رغم كل ما يعد إنجازات محققة لصالح المرأة، وتعلل غياب العمل الميداني بالمقارنة مع حضور العمل التنظيري، وتفسر أيضا أخذ نجم النسوية في الأفول-ومنه طروحات الجنوسة- رغم مرور زمن قصير على ميلادها، وتشرح سبب هذا القصر .

هذه الجملة من النقاط يمكن توضيحها كالتالي:

- تكيل النسويات بصفة خاصة والمؤيدين للحركة النسوية بصفة عامة الاتهامات للمجتمع، مع العلم أن المجتمع في الحقيقة مكون من الرجال والنساء، وكان المفروض أن تكال الاتهامات للرجل مباشرة بعدّه المسؤول عن اتخاذ القرارات، وبعدّه الممثل الأول للسلطة البطيركية، وبعدّه منفذ القرارات المسنونة، فبدل استعمال كلمة مجتمع كان من المفروض استعمال الفئة الرجالية؛ ذلك أن الوضوح في تحديد الجهة المسؤولة عن المشكلة سيساعد لا ريب في إيجاد الحل المناسب.
- لم نشهد منذ فجر التاريخ مجتمعا قام وأسس أركانه في غياب المرأة، ولانزنا إلى غاية اليوم لم نشهد مجتمعا رجاليا بحتا، ولا مجتمعا نسائيا بحتا، ولذلك فالمرأة هي العماد الثاني الذي بني عليه المجتمع، وسكوت المرأة عن هضم حقوقها، وخضوعها المطلق للرجل، وقبولها لكل قوانينه، أمر لا يحاسب عليه الرجل وحده؛ فالمرأة الصامتة الخاضعة، الذليلة، القابلة لكل شيء هي كذلك مشاركة وضليعة في هذه الجريمة المتمثلة في احتقارها ودونيتها، والتقليل من شأنها، ولذلك بدل كيل الاتهامات، كان الأجدر بحث أسباب سلوك المرأة هذا الاتجاه، ورضاها بالشرنقة التي لفها الرجل حول رقبتها .
- بدل الدخول في صدام فكري وتاريخي وحضاري مع الرجل، أو السلطة البطيركية كان الأجدر برواد الجنوسة بمفهومها المعتمد من قبل مناضلي النسوية، بحث إمكانية إعادة بعث وعي المرأة بذاتها، وسبل تعزيز مكانتها، وتدارس إمكانية مساواتها فعليا مع الرجل أي تطبيق ذلك على أرض الميدان، ولم لا تفوقها عليه خاصة وأنه سبق للمرأة أن تفوقت على الرجل في الحضارات الأولى عندما كانت المرأة ثأله، وكانت تعد مانحة الحياة والمركز الذي تقوم عليه الحضارة.
- كيف يمكن القول بأن المجتمع والثقافات هي المسؤولة عن جعل الأنثى امرأة، والذكر رجلا: «يشير مفهوم النوع الاجتماعي إلى التكوين الثقافي والاجتماعي والذي يجعل من الذكور رجالا والإناث نساء.»¹⁷ فهل يمكن للمجتمع إذا ما شاء أن يجعل من الذكر امرأة، ومن الأنثى رجلا، مادام

وحده القادر على ذلك تأسيسا على مقولة سيمون دي بوفوار: «إنها لا تولد امرأة، بل تصبح كذلك».¹⁸ بل هناك ما هو أدهى وأمر، فالباحثون يستدلون على صواب رؤاهم انطلاقا من اختلاف الوضع من ثقافة إلى أخرى، في حين أننا لم نشهد مجتمعا استطاع أن يحو الفروق بين الذكورة والأنوثة، أو يلغي التمايز بينهما، حتى في أشد المجتمعات تقدما وتطورا، فالتنظير إذن كان بحاجة ماسة إلى تقديم أدلة حية، تثبت صحة ما ذهبوا إليه .

● مسألة الاختلاف بين الرجل والمرأة، والتي نبع منها تمايز واضح في الأدوار الاجتماعية، تعد الركن الرئيس في كل الدراسات المتعلقة بالجنس أو الجنوسة؛ ولذلك سنحاول التوقف عند هذه النقطة مليا: إذا افترضنا أن المجتمع هو المسؤول فعلا عن مبادئ الذكورة والأنوثة، دون أي دخل لعوامل أخرى بيولوجية مثلا أو سيكولوجية فالسؤال المطروح هو: ما هي المعايير التي اعتمد عليها المجتمع في جعل الذكر رجلا، والأنثى امرأة؟ هل تكريس هذه المبادئ مرده إلى مشيئة المجتمع فقط؟ وهل هذه المشيئة مشروطة ومرهونة بقيود معينة، أم أنها مشيئة مطلقة راجعة فقط إلى مزاج السلطة البطيركية؟ إن معظم الدراسات التي تصدت لبحث أسس الاختلاف بين الرجل والمرأة أكدت أن هناك فروقا جوهرية بينهما: «إن كلمتي "الرجل" و"المرأة" تقتربان بميزات متعددة الأشكال تشمل الاختلافات في الوظيفة التوالدية، وبنية الجسم والطبع ونوع العمل والوضع الاجتماعي وسوى ذلك كثير، ويبدو هذا التناقض شاملا وعميقا لدرجة أن البعض يرى فيه مصدرا لكل المتناقضات الثنوية (المزدوجة) الراسخة في الوعي البشري».¹⁹ مما يعني أن التركيبة البيولوجية لكل منهما تفرض املاءات نفسية، واجتماعية، ووظيفية، لا دخل للمجتمع ولا للثقافة فيها، كما أنها عامل مهم ومؤثر لا يمكن تجاهله بهذه البساطة، لأن تأثيره يمتد لمجالات عدة: «إن الاختلاف الجنسي لا يمكن فصله عن الفكر والسياسة».²⁰ فمسألة أن الاختلاف بين الرجل والمرأة مرده فقط للمجتمع وللثقافة قضية ما زالت تحتاج إلى حجج دامغة ومقنعة.

- لماذا لم تستطع الحركات النسوية بعد عقود من النضال، وبعد نجاحها في دخول أجندة الهيئات الدولية الرسمية، وافتكاكها لعام المرأة 1975م، وكذا عقد المرأة أن تغير هذا الوضع، وتلغي التمايز بين الرجل والمرأة، وتمحي مقولة الذكورة والأنوثة أو تغير شيئاً من هذا الواقع؟.
- لو افترضنا أن المرأة قد حققت كل المساواة التي نادى بها فهل هذا يعني تغير مفهوم الذكورة والأنوثة؟ أي هل يمكن أن نفيق يوماً ونجد أنفسنا أمام ذكر امرأة وأنثى رجلاً، وهل يأتي يوم يتم فيه إلغاء هذا المفهوم تماماً بحيث يتم النظر إلى الإنسان كإنسان وكفى لا رجلاً، ولا امرأة؟ ويتم التعامل معه على أساس إنسانيته فقط دون أدنى اعتبار لجنسه البيولوجي .

4- أثر الجنوسة الثقافية على العملية الإبداعية:

أصبحت الجنوسة معطى ثقافياً مشبعاً بالقيم التي نادى بها النسوية، وتشبثت به لتحقيق غاياتها، ونظراً لما حمله ومُثله أضحت حجر الزاوية في كل الدراسات ذات العلاقة بالفكر النسوي، وأخذ يمدّ أذرعه في تضاعيف كل نسيج للمرأة يد فيه .

ولعل أكثر مجال نلتمس فيه تأثير الفكر الجنودي أو الجنوسي هو مجال الإبداع الأدبي؛ إذ: «تهد الكتابة النسوية لعهد جديد في الإبداع، يفرض بدء الانقذاف في آفاق المغايرة واختراق منظومات ثبات الذاكرة واستكناه الفضاءات البكر لحظة انعقادها من المرجعيات، إن سلوكاً كهذا يؤكد امتلاك النص إحاطة ذوقية استثنائية وهوية خاصة داخل الأنساق.»²¹ وذلك نظراً لكون الفلسفة، والسياسة، والاقتصاد، وغيرها من المجالات-حتى بعدما دخلت فيها المرأة- لم تستقطب الانتباه من جهة، ولم تثر بشأنها ضجة مماثلة لتلك التي أحدثتها دخول المرأة عالم الكتابة من جهة أخرى .

إذ راحت الأقلام النقدية تتساءل عن هذا المولود الجديد، وعن شرعيته، وامكانية حياته واستمراره، ووقوفه على سوقه، وكيفية تسميته، ودخلت المرأة الكاتبة مرة أخرى صراعاً وصداماً مع الرجل، واتهمته بأنه المسؤول عن التقليل من أهمية إنجازاتها الأدبية، واستدلّت على ذلك بسبل التسميات التي سُمي بها إنتاجها فمن أدب نسوي، إلى أدب أنثوي، إلى الأدب الناعم،...إلى غيرها من التسميات، وكثر الجدل والنقاش حول التسمية، وللمرة الثانية تخطى المرأة ولا تحسن استغلال أسلحتها .

لا زال إذن يبعث الاختلاف يدلي بجلايبه على كل ما له صلة بالجنندر أو الجنوسة؛ فعندما دخلت المرأة عالم الإبداع الأدبي بقوة لاح الاختلاف مجدداً؛ بين قبول للمرأة الكاتبة ورفض لها، وبين قبول للكتابة النسوية ورفض لها، وبين قبول وضع تسمية محددة لها وبين رفض لهذه التسمية، وبين قبول للتمييز بين كتابة المرأة وكتابة الرجل وبين رفض لذلك، وبين مقر بوجود خصوصية فيما تكتبه المرأة وبين رفض لوجود هذه الخصوصية، فمن القائلين بوجود اختلاف واضح في الكتابة النسوية "إلين شوالتر" Elaine Showlter التي ذهبت: «إلى وجود اختلاف عميق بين كتابة النساء والرجال»²²، ومن المناادين بضرورة التمييز بين كتابة المرأة وكتابة الرجل نجد ميخائيل عيد: «من يستطيع أن ينكر أن هناك فروقا في هذا الأدب...، وما الضير في أن يلتقي الأدب النسائي في العموميات مع الأدب الرجالي، ويختلف عنه من حيث بعض الخصوصيات التي تختص بها النساء دون الرجال؟ فالخصوصيات الاجتماعية وهموم الناس مشتركة لكنها لا تلغي الخصوصيات الفردية وسيخسر الأدب النسائي الكثير من جماله إذا لم يتميز بكونه أدبا أنثويا»²³ وفي مقابل هذا هناك من يرفض وجود الاختلاف، أو وجود السمات المميزة، وقد أحصت الناقدة "مسعي نهاد" في دراسة معمقة وتفصيلية هذه الاتجاهات المختلفة، وذلك في مقال نشرته في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، حيث قسمتها كالتالي: "الموقف المعارض: لا خصوصية في كتابة المرأة، والموقف المؤيد: المرأة تكتب بشكل مختلف، والموقف التوافقي: الخصوصية في الكتابة النسوية غير ثابتة" حيث استعرضت بعض الآراء في كل اتجاه من الاتجاهات السابقة، وخلصت إلى أن الضبابية التي لفت الموضوع قد أثرت سلبا على دراسة هذا الأدب .

ذلك أن المرأة -ولا أحد ينكر- استطاعت بعدما منح لها من حقوق أن تدخل عالم الكتابة من بابه الواسع، واستطاعت أن تقول، وتحكي، وتسرد، وتكتب، دون رادع، ومنح لها هامشا من الحرية مكنها من تجاوز عقدة الصمت- هذه الأخيرة التي لا ندرى إلى حد الساعة إن كانت قد فرضت عليها، وإن كانت هي مشاركة فيها؛ لأن القضية لم تأخذ حقها الكافي من البحث- واستطاعت أن تنتج كما لا بأس به من العمل الإبداعي وأصبحت هناك مادة أدبية صاحبها بيولوجيا وفيزيولوجيا وسيكولوجيا أنثى، لكن لم يتم التعامل مع هذه المادة بما تستحقه فُبُخست حقها من قبل منتجها ومتلقيها في ذات الآن؛ إذ راحت كل البحوث المتناولة لهذه الظاهرة تدور حول القشور، ومُهمش اللب، وتم الوقوع مرة ثالثة في الخطأ، حيث يتم الاهتمام بالهامش، وتهميش المركز .

إن هذه المادة الإبداعية التي صاحبها بيولوجيا أنثى، لم تكن بحاجة ماسة إلى الاسم المناسب فقط، أو إلى شهادة شرعية، بل كانت بحاجة إلى أمور أخرى أهم بكثير يمكن تليخيصها فيما يلي:

- قبل البحث في سبل تصنيف الكتابة الذكورية والكتابة الأنثوية كان يجب الاتحاد بين الرجل والمرأة من أجل بحث علاقة الطبيعة البيولوجية للإنسان -الأعضاء التناسلية- بفعل الكتابة؛ بمعنى هل تؤثر هذه التركيبة على الكتابة، إذا كانت الإجابة بلا فهذا يعني أنه لا فرق بين الكتابة الذكورية والكتابة الأنثوية، وإذا كانت الإجابة بنعم فكيف وأين يتجلى هذا التأثير؟
- هل للنصوص الإبداعية التي صاحبها بيولوجيا أنثى سمات ومميزات، تجعلها تختلف عن الكتابة التي صاحبها بيولوجيا ذكرا؟ إذا كانت الإجابة بلا فلا جدوى من البحث عن اسم أو شهادة شرعية، وإذا كانت الإجابة بنعم فقبل البحث عن فرض للذات لا بد من تحديد هذه الخصائص والسمات المميزة لأنها هي التي ستحمل معها شهادة شرعية الوجود، والقدرة على إثبات الذات .
- وجوب دراسة هذه المادة في حد ذاتها بعيدا عن صاحبيتها والبحث في لغتها وأسلوبها ومضمونها؛ من أجل الوقوف على ما أضافته للساحة الأدبية، وما يمكن أن تضيفه مستقبلا.
- ضرورة إحاطة هذه المادة بالدراسات الجادة، من أجل منحها فرصة لتعزيز تواجدها، وفتح الآفاق أمام المرأة من أجل المضي قدما في عالم الكتابة .
- بحث سبل وآليات الارتقاء بهذا النوع من الكتابة بغض النظر عن اسمه وعن صاحبته، ونقده نقدا بناء يعمل على تطويره وتحسينه .

خاتمة:

بعد بضعة عقود من النضال المتواصل والدؤوب للحركة النسوية، كان من أهم مفرزاتها المادة الأدبية النسوية، والفكر الجندرى أو الجنوسي، لكن العلاقة بين الجنس البيولوجي للكاتب والعملية الإبداعية مازالت غامضة، ومجهولة المسارب، كما أن تأثير الجنوسة الثقافية على الإبداع الأدبي لم يحظ بالدراسات الكافية، بالإضافة إلى أن هذه الأخيرة قد غلب عليها طابع التنظير، وافتقرت إلى الجانب الميداني، ولذلك يمكن القول بأن موضوع الجنوسة وعلاقتها بالعمل الأدبي لازالت أراضيها بكرًا، تحتاج إلى مواصلة الجهود، من أجل الحفاظ على ما

جدّ في الساحة الأدبية من إنتاج أدبي نسوي من جهة، والدفع به إلى الأمام من جهة أخرى، كما أن إعادة النظر في طرق وآليات التعامل والبحث مع هذا الموضوع سيحافظ على مكاسب النسوية ويدفع بها إلى تحقيق إنجازات أكبر تعود بالنفع على الكاتب -رجلا أو امرأة- وعلى الكتابة .

الهوامش:

- 1 محمد حوسو ، عصمت ، الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط 1 ، 2009م، ص 61 .
- 2 عبد المنعم العدوي، أحمد، تقاطعات النسوية والاستشراق قراءة تاريخ المجتمعات الإسلامية قبل الحداثة من منظور جنوسي "إشكالات منهجية ورؤى نقدية" ، مجلة فصول ، المجلد (3/26) ، العدد (103) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ربيع 2018م ، ص 298.
- 3 مجول فيصل، سناء، وعبد الرحيم صالح، علي، الوعي الجندري بدور المرأة لدى طلبة الجامعة ، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، المجلد 11، العدد 2 ، جامعة السلطان قابوس، مسقط ، عمان ، أبريل 2017م ، ص 470 .
- 4 غلوفر، ديفيد، و كابلان، كورا، الجنوسة (الجندر)، تر، عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ، سورية ، ط 1 ، 2008م ، ص 25.
- 5 أوجامع ، ابراهيم ، إدماج مقارنة النوع الاجتماعي في ميزانية الدولة، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010م/2011م، ص 5 .
- 6 البستاني، كارمن، منظور النوع الاجتماعي (الجندر) في الآداب، عن وقائع ندوة إدماج منظور الجندر في سياسات ومناهج الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، 5 جوان، 2004م، منشورات الجامعة اللبنانية، ص 49.
- 7 حمودي، محمد، إشكالية الجنوسة (النسوية) في النقد الثقافي، مقارنة عبد الله الغدامي أمودجا، مجلة مقاليد، العدد 8 ، جامعة ورقلة، الجزائر، جوان 2015م ، ص 217.
- 8 الرويلي، ميجان، والبازعي ، سعد، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط 3، 2002م، ص 150 .
- 9 كوهن ، كارول ، المرأة والحرب، تر ، ربي خدام الجامع، تد، ضحوك رقية، دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 2017م ، ص 9 .
- 10 الصدة ، هدى، النسوية والدراسات التاريخية ، تر ، عبير عباس، سلسلة ترجمات نسوية (3)، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 2015م، ص 13 .
- 11 عريف، عبد الرزاق، وميدني شايب الذراع، جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل تحولات الأسرة الجزائرية "مطرقة الاحتواء أم سندان الاستبعاد" عن وقائع الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجود الحياة في الأسرة، أيام 9، 10 أبريل 2013، منشورات جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، ص 7 .

- ¹² أبو بكر، أميمة ، محاضرات تعليمية في دراسات النوع، كتاب توثيقي، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 2016م ، ص 15.
- ¹³ المرجع نفسه ، ص 18.
- ¹⁴ إ. س. كون، الجنس من الأسطورة إلى العلم ، تر، منير شحود، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط 1 ، 1992م، ص 52.
- ¹⁵ الرويلي، ميجان، والبازعي ، سعد، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ص 151.
- ¹⁶ أبو بكر ، أميمة ، محاضرات تعليمية في دراسات النوع ، ص 17، 18.
- ¹⁷ نور الدين الشامي، إيمان ، رؤية المرأة لقيمة المساواة بين الذكور والإناث دراسة لعينة من طالبات جامعة القاهرة كلية رياض الأطفال نموذجاً، عن وقائع مؤتمر "المرأة في مجتمعاتنا على ساحة أطر حضارية متباينة" ، المنعقد بدار الضيافة ، - جامعة عين شمس، من 14 - 16 نوفمبر 2006م ، منشورات مركز الدراسات المعرفية، ص 364.
- ¹⁸ بكاي ، محمد ، الكتابة وتأنيث الخطاب رؤى في النقد النسوي عند جوليا كريستيفا، مجلة أبوليوس ، العدد 8، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس ، الجزائر ، جانفي 2018م، ص 44.
- ¹⁹ إ. س. كون، الجنس من الأسطورة إلى العلم ، ص 52.
- ²⁰ بكاي ، محمد ، الكتابة وتأنيث الخطاب رؤى في النقد النسوي عند جوليا كريستيفا، ص 36.
- ²¹ مسعي ، نهاد، النص النسوي : خلخلة النسقي...مركزية الأنثوي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 8 ، العدد 3 ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، بغداد ، العراق ، 2018م ، ص 227.
- ²² سلدن، امان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر ، جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط ، 1998م، ص 202.
- ²³ مسعي ، نهاد، النص النسوي : خلخلة النسقي...مركزية الأنثوي ، ص 248.

قائمة المراجع:

- 01- إ. س. كون، الجنس من الأسطورة إلى العلم ، تر، منير شحود، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط 1 ، 1992 م .
- 02- أوجامع ، ابراهيم ، إدماج مقارنة النوع الاجتماعي في ميزانية الدولة، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010م/2011م .
- 03- البستاني، كارمن، منظور النوع الاجتماعي (الجندر) في الآداب، عن وقائع ندوة إدماج منظور الجندر في سياسات ومناهج الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، 5 جوان، 2004م، منشورات الجامعة اللبنانية .

- 04- بكاي ، محمد ، الكتابة وتأنيث الخطاب رؤى في النقد النسوي عند جوليا كريستيفا، مجلة أبوليوس ، العدد 8، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس ، الجزائر ، جانفي 2018 م .
- 05- أبو بكر، أميمة ، محاضرات تعليمية في دراسات النوع، كتاب توثيقي، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 2016 م .
- 06- حمودي، محمد، إشكالية الجنوسة (النسوية) في النقد الثقافي، مقارنة عبد الله الغدامي أنموذجا، مجلة مقاليد، العدد 8 ، جامعة ورقلة، الجزائر، جوان 2015 م .
- 07- الرويلي، ميجان، والبازعي ، سعد، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط 3، 2002 م .
- 08- سلدن، رمان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر ، جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط ، 1998 م .
- 09- الصدة ، هدى، النسوية والدراسات التاريخية ، تر ، عيبر عباس، سلسلة ترجمات نسوية (3)، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 2015 م .
- 10- عبد المنعم العدوي، أحمد، تقاطعات النسوية والاستشراق قراءة تاريخ المجتمعات الإسلامية قبل الحداثة من منظور جنوسي "إشكالات منهجية ورؤى نقدية" ، مجلة فصول ، المجلد (3/26) ، العدد (103) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ربيع 2018 م .
- 11- عريف، عبد الرزاق، وميدني شايب الذراع، جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل تحولات الأسرة الجزائرية "مطرقة الاحتواء أم سندان الاستبعاد" عن وقائع الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجود الحياة في الأسرة، أيام 9، 10 أبريل 2013، منشورات جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية .
- 12- غلوفر، ديفيد، و كابلان، كورا، الجنوسة (الجندر)، تر، عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ، سورية ، ط 1 ، 2008 م .
- 13- كوهن ، كارول ، المرأة والحرب، تر ، ربي خدام الجامع، تد، ضحوك رقية، دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 2017 م .

- 14- مجول فيصل، سناء، وعبد الرحيم صالح، علي، الوعي الجندري بدور المرأة لدى طلبة الجامعة ، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، المجلد 11، العدد 2 ، جامعة السلطان قابوس، مسقط ، عمان ، أبريل 2017م .
- 15- محمد حوسو ، عصمت ، الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط 1 ، 2009م، ص 61 .
- 16- مسعي ، نهاد، النص النسوي : خلخلة النسقي...مركزية الأنثوي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 8 ، العدد 3 ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، بغداد ، العراق، 2018م .
- 17- نور الدين الشامي، إيمان ، رؤية المرأة لقيمة المساواة بين الذكور والإناث دراسة لعينة من طالبات جامعة القاهرة كلية رياض الأطفال نموذجاً، عن وقائع مؤتمر "المرأة في مجتمعاتنا على ساحة أطر حضارية متباينة" ، المنعقد بدار الضيافة ، - جامعة عين شمس، من 14 - 16 نوفمبر 2006م ، منشورات مركز الدراسات المعرفية .